ثانياً- تأسيس الجمعيات الثورية العربية (العلنية والسرية) قبل الحرب العالمية الاولى:

نتيجة للوعي الذي نما في القرن التاسع عشر الميلادي تطورت حركة القومية العربية من مجرد دعوات لمحررين ومشاعر تجيش في صدور الاحرار الى حركة منظمة لها انصارها وبرامجها السياسية. ومما زاد في بلورة الناحية التنظيمية في الحركة القومية العربية في اواخر القرن التاسع عشر الميلادي واوائل القرن العشرين التطورات التي حدثت في الدولة العثمانية ومن ابرزها الانقلاب العثماني في ٢٣ تموز سنة ١٩٠٨م الذي خلع السلطان عبدالحميد الثاني واعاد العمل بدستور ١٨٧٦م وسيطرة الاتحاديين.

لقد ادى تمادي الاتحاديين الاتراك في سياستهم العدوانية تجاه امتنا العربية ولغتها وشخصيتها الى ظهور جمعيات عربية تدعو صراحة او ضمنا الى تحرر البلدان العربية الخاضعة للنفوذ العثماني، ويمكن تقسيم هذه الجمعيات العربية الى قسمين :

أ- الجمعيات العلنية :

كوّن الشباب العربي المثقف جمعيات ذات نشاط ادبي واجتماعي تعمل على نشر التراث العربي وتوعية الجماهير العربية وتعزيز الروابط القومية بينهم منها:

١- جمعية الاخاء العربي- العثماني: تأسست في اسطنبول في آب سنة ١٩٠٨م واصبح لها فروع في بعض البلدان العربية وقد جاء في برنامجها السياسي انها تدعو الى تحسين حالة الولايات العربية على اساس المساواة الحقيقية بين العرب وغيرهم وتشجيع التعليم باللغة العربية.

٢- جمعية المنتدى الادبي: تأسست سنة ١٩٠٩م وضمّت عدداً من الطلاب والموظفين العرب في اسطنبول، وكان هدفها ثقافيا ينحصر في انشاء مقر يلتقي فيه العرب. وقد ازداد عدد اعضائها حتى بلغ ألوفاً وفتحت لها فروعاً في مدن مختلفة في سوريا والعراق.

٣- حزب اللامركزية الادارية العثماني: وتأسس في اواخر سنة ١٩١٢م في القاهرة وهدفه السعي لتطوير اسلوب الحكم في بلدان الدولة العثمانية على أساس النظام اللامركزي في الادارة، وبعبارة اخرى منح كل ولاية قسطا كبيرا من الاستقلال الاداري حتى تستطيع تنفيذ الاصلاحات الضرورية ومقاومة اي غزو اجنبي في حالة تعذر مساعدة الحكومة المركزية لها خشية ان يتكرر ما حدث في ليبيا التي تعرضت للغزو الايطالي سنة ١٩١١م .

٤- كما ظهرت في بيروت اواخر سنة ١٩١٢م (لجنة الاصلاح) تألفت من ستة

وثمانين عضواً. وكانت تهدف الى التطبيق العملي للمبادئ التي نادى بها دعاة اللامركزية. وقد اعلنت لجنة الاصلاح منهجها في اواسط شباط سنة ١٩١٣م ونشرته على نطاق واسع وخاصة في سوريا والعراق. فعمدت السلطات العثمانية الى مطاردة بعض اعضائها. غير انها اضطرت تحت ضغط المظاهرات التي عمت بلاد الشام ان تطلق سراح المعتقلين من اعضاء اللجنة وتعلن عزم الحكومة على القيام بالاصلاحات على اساس اللامركزية، الا ان الاتحاديين اصدروا يوم ٥ ايار سنة ١٩١٣م قانوناً جديداً للولايات ناقض تماما اهداف ومناهج لجنة الاصلاح وحزب اللامركزية. وقد عدته الولايات العربية خطوة جديدة نحو مزيد من المركزية وتمكيناً لقبضة اسطنبول من الولايات العربية.

واجه القانون الجديد بعد نشره مقاومة عنيفة في الولايات العراقية الثلاث: بغداد والبصرة والموصل. فأخذت الصحف تندد به. كما عقدت الاجتماعات التي دعت الى مقاومة تطبيقه لانه غير كاف لاصلاح ولاياتهم.

ان الاتحاديين بدلا من ان يحققوا للعرب مطامحهم القومية، اتجهوا نحو تطبيق مركزية شديدة واعتنقوا سياسة التتريك وتمجيد النعرة العنصرية القائمة على تفضيل الاتراك على غيرهم من عناصر الدولة. ولجأوا في فرض سياستهم الى الارهاب. فألغيت الجمعيات العربية العلنية. وكان لفشل الاتحاديين في الدفاع عن طرابلس العربية ضد الغزو الايطالي سنة ١٩١١م ان احس العرب بضرورة بناء كيانهم الخاص المتميز فبدأوا يجهرون برفضهم للسيطرة العثمانية داعين الى المساواة بين العرب والاتراك فضلاً عن مطالبهم العلنية التي يمكن تلخيصها بما يلي:

١- الاعتراف بكيان العرب ومنحهم الاستقلال الذاتي في بلادهم .

٢- مقاومة سياسة التتريك.

٣- اقامة حكم دستوري بعيد عن الظلم والارهاب .

وهكذا كانت مطالب العرب واحرارهم ومثقفيهم تتلخص بكلمتين هما: الحرية والاستقلال. لذلك لجأوا الى تنظيم انفسهم في جميعات وحركات سياسية سرية لمواجهة الاخطار الجديدة.

ب- الجمعيات السرية: وهي جمعيات تتبع اساليب تنظيمية سرية دقيقة من ابرزها:

١- الجمعية القحطانية: أسسها في اسطنبول (عزيز علي المصري) وهو ضابط عربي في الجيش العثماني كان متحمسا للقضية القومية اواخر سنة ١٩٠٩م وكان من اهدافها ان يكون للعرب كيان خاص مستقل داخل البناء العثماني العام.

٢- جمعية العربية الفتاة: تأسست في باريس في ١٤تشرين الثاني سنة ١٩١١م وقام بتأسيسها مجموعة من الطلبة العرب الذين كانوا يتلقون العلم هناك. وكان هدفها تحقيق استقلال البلدان العربية وتحريرها من النير العثماني. وفي سنة ١٩١٣م نقل مركزها الى بيروت ثم نقل في السنة التالية الى دمشق وهي اهم الجمعيات السياسية العربية. امتازت بوضوح اهدافها ووعي اعضائها واخلاصهم ودقة نظامها. وقد بقي سر هذه الجمعية مكتوماً الى تشكيل الحكومة العربية في دمشق سنة ١٩١٨م ، وقد كان لهذه الجمعية دور كبير في الحركة العربية اثناء الحرب العالمية الاولى.

٣- جمعية العهد: اسست في اسطنبول في ٢٨ تشرين الاول سنة ١٩١٣م بزعامة عزيز علي المصري الضابط العربي المتحمس وقد سميت هذه الجمعية بهذا الاسم لان انتماء اي عضو اليها يعد بمثابة (عهد) بينه وبين الله تعالى على خدمة الامة العربية. وشعارها «ان ليس للانسان الا ما سعى» وكان هدف الجمعية الحصول على استقلال الامة العربية. وقد حرص مؤسسوها على اقتصار الجمعية على العسكريين. ومن الذين قبلوا فيها من المدنيين الامير عادل ارسلان احد الاعضاء المؤسسين للجمعية القحطانية. وكان لجمعية العهد فروع في مختلف المدن العربية. ولعل من اقوى فروعها تلك التي فتحت في كل من الموصل وبغداد.

ثالثاً- المؤتمر العربي الاول في بارس ١٩١٣م :

لقد شعر العرب بضرورة تعريف الرأي العام العالمي بمطالبهم العادلة ورغبوا كذلك في توحيد جهودهم ونضالهم لاقامة كيان سياسي خاص بهم. لذلك قرروا عقد مؤتمر عربي عام، فاستقر رأيهم على عقده في باريس بعيداً عن بطش السلطات العثمانية.

يعد هذا المؤتمر علامة بارزة في تطور الوعي العربي فقد حضره مندوبون عن معظم انحاء الوطن العربي، فجسد بذلك الوحدة النضالية العربية ضد المستعمرين. وقد هيأت للمؤتمر لجنة تحضيرية مؤلفة من عبدالغني العريسي وعوني عبدالهادي وجميل مردم ومحمد المحمصاني وندره مطران وشكري غانم وشارل دباس وجميل المعلوف. وقد اتصلت هذه اللجنة بالجمعيات القومية والشخصيات العربية القومية البارزة.

لقد كانت اولى خطوات اللجنة التحضيرية اتصالها بحزب اللامركزية الادارية العثماني في القاهرة وعرضها عليه تبني المؤتمر ورئاسته لانه كان يضم رجالا بارزين وقد ترددت دعوة المؤتمر في كل ارجاء الوطن العربي ورأت اللجنة ان ذلك من عوامل نجاح المؤتمر والوصول به الى نتائج ملموسة. استجاب كثير من قادة الحركة العربية للنداء وتوجهوا

الى باريس وحضروا المؤتمر الذي عقد جلساته بين ١٧و٢٣ حزيران سنة ١٩١٣م .

لقد جاء في بيان اللجنة التحضيرية للمؤتمر، الذي اذيع على ابناء الامة : ان عقد المؤتمر جاء نتيجة لما يجري في البلدان العربية من احداث ولكي «نثبت للعالم اننا امة متماسكة ذات وجود حي لا ينحل ومقام عزيز لا يضام ومنزلة سياسية لاتقارع». ثم وجه البيان نداءه الى العرب قائلا: «اننا ندعو كل من يخفق قلبه لامة العرب، صغيراً او كبيراً، ان يلبي داعي الوطن»: وقد حددت اللجنة الموضوعات التي سوف يبحثها المؤتمر ومن ابرزها: مناقشة حقوق العرب في الدولة العثمانية وضرورة اصلاح اوضاعهم.

حضر المؤتمر حوالي (٢٥٠) شخصاً يمثلون مختلف البلدان العربية وتلقى برقيات تأييد من شخصيات عديدة في الوطن العربي واتخذ عددا من المقررات اكدت ضرورة الاعتراف بحقوق العرب السياسية الكاملة وعلى ان يكون لهم دور في ادارة الدولة كما اكدت ضرورة الدفاع عن البلدان العربية من اي عدوان خارجي.

وألحق بمقررات المؤتمر شروط نصت على ان الاعضاء المنتمين الى الجمعيات العربية يمتنعون عن قبول اي منصب حكومي في الدولة العثمانية الا بموافقة جمعياتهم. كما ان مقررات المؤتمر ستكون بمثابة البرنامج السياسي للعرب القوميين في تعاملهم مع السلطات العثمانية.

ان مقررات المؤتمر المتعلقة بالدعوة الى الاصلاح والمساواة، كانت من القوة بحيث اجبرت الحكومة العثمانية على اعلان قبولها لتلك المقررات او التظاهر بقبولها: فقد ارسلت جمعية الاتحاد والترقي سكرتيرها العام الى باريس للتفاوض مع رجال المؤتمر في مطالبهم وفتحت ابواب المفاوضات واتضح بما لا يقبل الشك ان الاتحاديين ما كانوا مخلصين في نواياهم. ففي ٩ شباط سنة ١٩١٤م اعتقلوا عزيز علي المصري وكان من انشط الضباط العرب في الجيش العثماني ومن اكثرهم كفاية وايمانا عندئذ اتصلت في دمشق جمعية «العربية للفتاة» بجمعية العهد وذلك في سنة ١٩١٥م ووحدتا جهديهما للسير في طريق واحد مهد لقيام الثورة العربية في الحجاز سنة ١٩١٦م بقيادة الشريف حسين بن علي.